... مَا عَلَىٰ مَنْ يَشْتَاقُكُم منْ مَلام...

وفي سياق الحديث عن المقام العالي للحبيب المصطفىٰ ﷺ ، نتوقف عند بعض ما آتاه الله من انقلاب الأعيان حين لمسه إياها ، مثال ذلك ما أورده القاضي عياض رحمه الله تعالىٰ :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن أهل المدينة فزعوا مرة ، فركب رسول الله ﷺ فرساً لأبي طلحة كان يقطف ـ أي: يُبطئ ـ فلما رجع قال: «وجدنا فرسك بَحْراً» فكان بعْدُ لا يُجارىٰ[1] .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: أنها أخرجت جُبّة طيالسةٍ[2] ، وقالت: كان رسول الله ﷺ يلبسُها ، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها[3] .

وكان خالد بن الوليد رضي الله عنه يحفظ ببعض شعرات المصطفىٰ صلوات الله عليه في قلنسوته ، ولم يشهد بها قتالاً إلاّ رُزق النّصر[4] .

وكان لأم مالك عُكّة[5] تُهدي فيها للنبي ﷺ سمناً ، فأمرها النبيّ ألاّ تعصرها ، ثم دفعها إليها ، فإذا هي مملوءةٌ سمناً ، فيأتيها بنوها يسألونها

---

(١) صحيح البخاري: (٢٨٦٧).

(٢) هي نوع من الأوشحة يُلبس علىٰ الكتف ، خالٍ من الخاطة

(٣) صحيح مسلم: (٢٠٦٩).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (٣٨٠٤) ، المستدرك: ٣/ ٢٩٩.

(٥) هي: وعاء صغير من جلد يوضع فيه السمن.

الأُدم ، وليس عندهم شيءٌ فتعمد إليها ، فتجد فيها سمناً ، فكانت تُقيم أدمها حتىٰ عصرتها[1] .

وكان قتادة بن النعمان رضي الله عنه يُصلّي مع المصطفىٰ ﷺ العشاء في ليلةٍ مظلمةٍ مطيرةٍ ، فلما أراد قتادة الخروج أعطاه عُرجوناً[2] ، وقال له: «انطلق به ، فإنه سيُضيء لك من بين يديك عشراً ومن خلفك عشراً ، فإذا دخلتَ بيتك فسترىٰ سواداً فاضربه حتىٰ يخرج ، فإنه الشيطان» فانطلق قتادة ، فأضاء له العرجون حتىٰ دخل بيته ، ووجد السّواد فضربه حتىٰ خرج[3] .

أجل يا أبا الزهراء يا رسول الله!

لقد أكرمك الله بهذه المعجزات الباهرات ، لتزيد من الأدلّة علىٰ صدق رسالتك:

وسقىٰ الجيش من أصابعه الما ... ء فروّىٰ غليل جيشٍ لهامِ
ودعا أربعين أنهم خلفٌ ... فنفىٰ جوعهم بمدّ طعامِ
يا من الجذعُ حنّ شوقاً إليه ... ما علىٰ من يشتاقكم من ملامِ
يا من انقاد شارد الإبل الشاني ... له ساجداً بدمع هامي
يا من ارْتَجّ هيبةً لعُلاه ... إذ علاه الطّود المنيفُ السّامي
ورمىٰ فضله في رَكِيٍّ ... فاستحالت سيحاً بماءٍ طامي
وبه الملح صار عذباً فراتاً ... سائغاً شافياً صدىٰ كلّ ظامي

* * *

(١) صحيح مسلم: (٢٢٨٠).
(٢) هو الغصن الذي يحمل التمر.
(٣) مسند أحمد: ٣/ ٦٥.